آیات الغزوات فی القرآن الکریم آیات غزوة بنی النضیر نموذجاً

د/ لولوه بنت عبدالله القضیبی

Abstract:

The Biography of the Prophet replete with many of the great historical events that should be kept in view placed to be a beacon for us to shines in the darkness of reality and is considered Invasion of Banu Nadir incidents of the Prophet's biography of the great, which evacuated the Prophet of Allah bless him and the Jews of Bani Nadir city yet to be proven slag Taiwithm and treachery and betrayal by a prophet of Allah, peace be upon him and the believers

And Al-Hashr where the lessons and sermons, has been concerned about the side of the legislation, and I talked about the battle (built Nadeer) They are Jews who broke the Covenant with the Prophet peace be upon him Vogelahm for Medina, and in this Surah talk about hypocrites who allied themselves with the Jews, a Surat briefly invasions and Jihad, the shade and the booty, as indicated conditions and provisions, and then commended the migrants and supporters and those who followed them in truth.

The research plan: contains two parts:
Section I: invasions Prophet Muhammad, peace be upon him in the Koran: the battle of Badr, a Great Battle, Invasion of Banu Nadir. Battle of the parties and the Banu Qurayza and Khudaibiya. The battle of Khaybar. And the conquest of Mecca. Battle of nostalgia and the Battle of Tabuk.

Section II: Invasion of Banu Nadir .oha in Al-Hashr: It is intentional Behold God's promenade for the shortfall, proving the overall capacity, have shown the benefits of faith and the effects of the Al-Hashr:

1. breeding individuals and the nation on the victory of God Almighty Gel
2. contract of brotherhood among the believers requires a prayer for each other
3. hypocrite distract his allegiance to the enemies of God of the Jews and the idolaters In Sura descriptions of the Jews, which they resisted Allah and His Messenger, and that they are evil and they fear people more than they fear God. And that their appearance indicates the unity and community, but Sraiarham scattered torn, Some of the properties in the Al-Hashr: including: the characteristics of the words: utter them: the first Hashr - forts - vandalized homes -algela -allenh -alogiv -

☆أستاذ التفسیر وعلوم القرآن المشارك جامعة الأمیرة نوره بنت عبدالرحمن المملكة العربیة السعودیة -الریاض

passengers -al_khasash behind walls and the characteristics of the most beautiful names: and this is contained in another Sura, in three sections. Each section of which starts in uniformity, a shorter text of the Qur'an contains a large number of names of Allah, the text contains sixteen name.

And properties in suitable finale Sura with its beginning, where Al-Hashr -as sealed Oadha- Bzbeh God and began Thamidh

المقدمة

إن السيرة النبوية زاخرة بالكثير من الأحداث التاريخية العظيمة التى ينبغى أن توضع نصب الأعين لتكون نبراسًا لنا ليضيء فى عتمة الواقع؛ ذلك الواقع الذى فيه من التشويه والتضليل والتزييف الذى تمارسه أعتى القوى وأخبث الأقوام والشعوب، ونعنى بها هنا الشعب اليهودى المسيطر على كثير من المقدرات وأزمة الأمور فى العالم.

وتعتبر غزوة بنى النضير من حوادث السيرة النبوية العظيمة، التى أجلى فيها نبى الله صلى الله عليه وسلم يهود بنى النضير عن المدينة بعد أن ثبت خبث طويتهم وغدرهم وخيانتهم بنبى الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين؛ حيث بدؤوا يتصلون بالمشركين والمنافقين ويعملون لصالحهم ضد المسلمين.

و سورة الحشر فيها من العبر والعظات، ولقد عُنِيَت بجانب التشريع، وتحدثت عن غزوة (بنى النضير) وهم اليهود الذين نقضوا العهد مع الرسول -صلى الله عليه وسلم -فأجلاهم عن المدينة المنورة، ولهذا كان ابن عباس -رضى الله عنهما -يسمى هذه السورة "سورة بنى النضير."

وفى هذه السورة الحديث عن المنافقين الذين تحالفوا مع اليهود، وهى بإيجاز سورة الغزوات والجهاد، والفيء والغنيمة، حيث بينت شروطه وأحكامه، ثم أثنت على المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.

ثم تحدثت عن المنافقين الأشرار الذين تحالفوا مع اليهود ضد المسلمين، ووعظت المؤمنين بتذكر ذلك اليوم الرهيب يوم القيامة الذى لا ينفع فيه حسَب ولا نسب ولا غيرهما.

ثم ختمت بذكر بعض أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، وبتنزيهه عن صفات النقص والعيب.

خطة البحث :يحتوى على قسمين :

القسم الأول :

أولاً :غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم

ثانياً :الغزوات فى القرآن بين الإجمال والتفصيل

القسم الثانی :

غزوة بنی النضیر .وتشمل :

أولاً :غزوة بنی النضیر تاریخیاً

ثانیاً :غزوة بنی النضیر فی القرآن الکریم

ثالثاً :سورة الحشر :

بین یدی السورة :

1. اسم السور
2. مقصود السورة
3. موضوعات السورة

رابعاً : الفوائد والآثار الإیمانیة من سورة الحشر

خامساً :تدبر بعض الخصائص فی سورة الحشر

الخاتمة

المراجع

القسم الأول :غزوات الرسول صلی الله علیه وسلم فی القرآن الکریم :

لا شكّ بأنّ فریضة الجهاد فی سبیل الله تعالی من أعظم فرائض الإسلام، بل هی من أحبّ الأعمال إلی الله تعالی وأعظمها أجرًا، كما أنّ الجهاد فی سبیل الله هو ذروة سنام الإسلام، وقد بیّن النّبی علیه الصّلاة والسّلام فضل الجهاد فی سبیل الله عن أنس بن مالك رضی الله عنه، عن النبی صلی الله علیه وسلم قال :لغدوة فی سبیل الله أو روحة، خیر من الدنیا وما فیها.( ) ومما یُلاحظ لا یذكر فی القرآن الكریم لفظ (القتال) أو (الجهاد) إلا وهو مقرون بعبارة (سبیل الله) وذلك یدل علی أن الغایة من القتال غایة مقدسة نبیلة هی (إعلاء كلمة الله) لا السیطرة أو المغنم، أو إظهار الشجاعة، أو الاستعلاء فی الأرض، وقد وضّح هذه الغایة النبیلة قوله علیه السلام :من قاتل لتكون كلمة الله هی العلیا فهو فی سبیل الله .

والجهاد فی الإسلام بلا شكّ له أحكام وضوابط، كما أنّ الجهاد فی الإسلام له أنواع؛ فقد یكون الجهاد فرض عین علی كلّ مسلم حین یحتّل شبراً من أرض المسلمین، كما قد یكون الجهاد فرض كفایة إذا فعله البعض سقط عن الباقین، ویسمّی جهاد الطّلب، وینطبق هذا الجهاد علی جمیع الحملات التی كانت تقوم بها الجیوش

الإسلاميّة لفتح بلاد الكفر، وقد كانت الدّعوة الإسلاميّة فى بدايتها تتّسم بطابع السّريّة، حتّى أنّ النّبى عليه الصّلاة والسّلام كان يجتمع سرًا بالمؤمنين فى دار الأرقم فى بداية الأمر يتدراسون القرآن، وأمر الدّعوة إلى الله تعالى، ثمّ ساهم إسلام عددٍ من الصّحابة الذين اشتهروا بقوّتهم فى تأييد الدّعوة الإسلاميّة، وفى ذلك الوقت لم يأمر الله تعالى نبيّه الكريم بجهاد الكفّار؛ ذلك لأنّ المرحلة كانت تستدعى الصّبر على الأذى والتّحمّل لأنّ نجاح الدّعوة يعتمد على تدرّجها، فلا يستطيع أحدٌ أن يقاتل من دون أن يستند إلى قاعدةٍ صلبة قويّة، فليس ثمّة دولةٌ للمسلمين وقتئذٍ، ولكن وبعد أن هاجر النّبى عليه الصّلاة والسّلام إلى المدينة المنوّرة وأسّس الدّولة الإسلاميّة، نزلت آيةٌ مدنيّة تعطى المؤمنين الإذن فى قتال الكافرين، قال تعالى :(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ الله على نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)(الحج 39) ؛ فكانت هذه الآية بداية الانطلاق نحو قتال المشركين ودفع أذاهم، فحدثت بعد ذلك معركة بدر الشّهيرة؛ حيث انتصر المسلمون وقتل كثيرٌ من زعماء قريش، ثمّ معركة أحد وغيرها .وأخيرًا يجب الإشارة إلى أنّ الجهاد فى الإسلام محكومٌ بضوابط بيّنها النبّى الكريم مثل ألا يقتلوا امرأةً ولا طفلًا ولا شيخًا ولا عابدًا فى صومعته، ولا يقطعوا شجرةً ولا يهدموا بناء ، قال الله تعالى :(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) سورة التوبة، الآية.122 :

الجهاد بالنفس فرض كفاية إذا قام به من يكفى من المسلمين سقط الإثم عن الباقين .((

قال ابن عثيمين :وقوله :وهو فرض كفاية .لابد فيه من شرط، وهو أن يكون عند المسلمين قدرة وقوة يستطيعون بها القتال، فإن لم يكن لديهم قدرة، فإن إقحام أنفسهم فى القتال إلقاء بأنفسهم إلى التهلكة؛ ولهذا لم يوجب الله - سبحانه وتعالى -على المسلمين القتال وهم فى مكة؛ لأنهم عاجزون ضعفاء ، فلما هاجروا إلى المدينة، وكوّنوا الدولة الإسلامية، وصار لهم شوكة أُمروا بالقتال، وعلى هذا فلابد من هذا الشرط، وإلا سقط عنهم كسائر الواجبات؛ لأن جميع الواجبات يشترط فيها القدرة؛ لقوله تعالى :(فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (التغابن، 16 :) وقوله: (لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) (البقرة، ا .(.286 :

عن ابن عباس، قال " :لما أخرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة، قال أبو بكر :أخرجوا نبيهم ليهلكن "فأنزل الله تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) (الحج39 :) الآية فقال أبو بكر :لقد علمت أنه سيكون قتال .هذا حديث حسن .( ) وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعاً وعشرين غزاة، قاتل منها فى تسع :بدر، وأحد، والمريسيع أو بنى المصطلق ، والخندق، وقريظة، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف، وبعثَ ستاً وخمسين سرية .

والفرق بين الغزوة والسرية والبعث أن الغزوة يقودها النبى صلى الله عليه وسلم ، أما السرية والبعث فكلاهما بمعنىً متقارب ، والمقصود منها ما يبعثه النبى صلى الله عليه وسلم ويجعل عليه قائداً من الصحابة دون أن يكون معهم .

لقد سجل القرآن الكريم أحداث وعبر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم لتكون دروسًا للأمة فى رحلة حياتها ، تتوارثها الأجيال ، وتتلى على المسامع ، وتتدبرها العقول إلى يوم الدين .

وقد ورد ذكر الغزوات فى القرآن على النحو التالى :

1. غزوة بدر الكبرى :وكانت فى السنة الثانية من الهجرة ، هى أكرم المشاهد ، وهو يوم الفرقان الذى أعز الله فيه الإسلام وأهله ودفع الشرك وأهله ، وهذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو ، مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيلاء الزائد فأعز الله رسوله صلى الله عليه وسلم .وكان خروجهم يوم السبت لاثنى عشر خلت من رمضان ، واستخلف على المدينة أبا لبابة رضى اله عنه .وخرج معه الأنصار ، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه ، وكانت من غير قصد من المسلمين إليها ولا ميعاد ، كما قال تعالى (وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ) آل عمران 42:وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه خبر العير المقبلة من الشام مع أبى سفيان فيها أموالٌ عظيمة لقريش ، فندب أصحابه إليهم ، فأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو .( )

سجلت أحداث غزوة بدر ودروسها فى سورة آل عمران وسورة الأنفال .على النحو التالى :

ذكر الله تعالى غزوة بدر فى أربعة مواضع من القرآن :

الموضع الأول :فى سورة آل عمران قال تعالى (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (آل عمران123 :)

الموضع الثانى :فى سورة الأنفال : من الآية 5)) حتى الآية (19)

الموضع الثالث من الآية (41) حتى الآية (49)

الموضع الرابع : فى سورة الأنفال قال تعالى (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ 67)) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ 68)) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ 69))) (الأنفال69 - 67 :)

2. غزوة أحد :وأحداث غزوة أحد ودروسها فى ستين آية من سورة آل عمران .على النحو التالى :

ذكر الله تعالى غزوة أحد فى موضعين من القرآن :

الموضع الأول فى سورة آل عمران :من الآية 121حتى الآية (128)

الموضع الثانی فی سورۃ آل عمران :من الآیۃ 137حتی الآیۃ (179)

3. غزوۃ بنی النضیر :ورد ذکر غزوۃ بنی النضیر فی موضع واحد فی القرآن فی سورۃ الحشر .من الآیۃ 2 حتی الآیۃ 17))

4. غزوۃ الأحزاب :وفی سورۃ الأحزاب ذکر غزوۃ الأحزاب من الآیۃ 9حتی الآیۃ (25)

5. غزوۃ بنی قریظۃ : ورد ذکر غزوۃ بنی قریظۃ فی سورۃ الأحزاب ، قال تعالی (وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27)

6. صلح الحدیبیۃ : ورد الحدیث عن قصۃ الحدیبیۃ فی موضعین :

الموضع الأول :فی سورۃ الممتحنۃ من الآیۃ 10حتی الآیۃ (12)

الموضع الثانی :فی سورۃ الفتح ذکر صلح الحدیبیۃ من الآیۃ 1حتی الآیۃ (28)

7. غزوۃ خیبر :ورد ذکر غزوۃ خیبر فی سور الفتح ، قال تعالی (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا 18)) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا 19)) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) (الفتح20 - 18 :)

8. فتح مکۃ (فح الفتوح) : کان فی رمضان فی السنۃ الثامنۃ من الهجرۃ قال ابن القیم (هو الفتح الأعظم الذی أعز الله به دینه ورسوله وجنده وحزبه الأمین ، واستنقذ به بلده وبیته الذی جعله هدی للعالمین ، من أیدی الکفار والمشرکین ، وهو الفتح الذی استبشر به أهل السماء ، وضربت أطناب عزه علی مناکب الجوزاء ، ودخل الناس به فی دین الله أفواجاً ، وأشرق به وجه الأرض ضیاء وابتهاجاً ، خرج له رسول الله -صلی الله علیه وسلم -بکتائب الإسلام، وجنود الرحمن سنۃ ثمان لعشر مضین من رمضان .) (.(

ورد ذکر فتح مکۃ فی ثلاثۃ مواضع فی القرآن :

الموضع الأول :فی سورۃالحدید قال تعالی(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (الحدید10 :)

الموضع الثانی فی سورۃ النصر قال تعالی (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ 1)) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا

(2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) (النصر3 - 1 :) قال ابن كثير :(والمراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولاً واحداً ، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة ، يقولون :إن ظهر على قومه فهو نبى .فلما فتح الله عليه مكة دخلوا فى دين الله أفواجاً .فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناص ، ولم يبق فى سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ، ولله الحمد والمنة) ((

كان نزولها فى أوسط أيام التشريق فى حجة الوداع

9. غزوة حنين وكانت فى السنة الثامنة من الهجرة ، وقد ورد ذكر غزوة حنين فى موضع واحد من القرآن فى سورة التوبة ، قال تعالى (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ 25)) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ 26)) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التوبة25 :، 27)

10. غزوة تبوك :ذكر القرآن غزوة تبوك فى موضع واحد من القرآن ، فى سورة التوبة الآيات من 42حتى الآية 129

غزوة تبوك اسم لامع فى سماء الغزوات التى ربت المؤمنين، ومحصت الصفوف من المنافقين، وأعطت للدولة الإسلامية هيبتها، ووضعتها بحذاء قوة الروم والفرس، فرغم الأزمة الاقتصادية التى كان يعيشها المسلمون، واشتداد الحر، وقرب موسم جنى الثمار، إضافة إلى بعد المسافة، أعلن صلى الله عليه وسلم الجهاد وتجهيز الجيش؛ ليضع أهل الإيمان أياديهم البيضاء فى يد الرسول صلى الله عليه وسلم لينطلق الجيش مخلفاً آثار فضائح المنافقين وصفات المتخلفين عن الجهاد، مظهراً طبقة عمالقة الإيمان الذين قادوا الأمة بعد نبيها، وعلى أكتافهم حمل الدين، وبسعيهم وبفضل جهودهم انتشر الإسلام.((

ثانياً :الغزوات فى القرآن بين الإجمال والتفصيل

إن غزوة بدر وغزوة حنين وغزوة الأحزاب من أعظم الغزوات فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم التى كان لها أثر كبير فى مجريات الأمور فى عهد النبوة وما بعده، فغزوة بدر كانت أول معركة بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر، وانتصر فيها حزب الله على حزب الشيطان، وأنزل الله عز وجل فيها الملائكة تأييداً لعباده المؤمنين، وحدث بعد الغزوة شىء من الاختلاف حول موضوع الأسرى وحول موضوع الغنائم، كل ذلك تطلب شيئاً من التفصيل والإطناب حول هذه الغزوة، وقد ذكرت هذه الغزوة فى سورة الأنفال، ولذا سماها ابن عباس رضى الله عنه

بـ"سورة بدر"، كـمـا رواه مسلم عنه فی صحیحه .عـن سعید بن جبیر، قال :قلت لابن عباس :سورة التوبة، قال : آلتوبة قال :بـل هـی الفاضحة ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم حتی ظنوا أن لا یبقی منا أحد، إلا ذکر فیها، قال :قلت: سورة الأنفال، قال :تلك سورة بدر قال :قلت :فالحشر قال :نزلت فی بنی النضیر ( ) وذکرت أیضاً فی سورة آل عمران من الآیة 122إلی الآیة 126من نفس السورة، وأما غزوة حنین فقد ذکرها الله عز وجل فی آیتین من سورة التـوبة وهما الآیة 25، والآیة 26، قـال الـعـلامة مـحمد الطاهر بن عاشور فی "التـحـریر والتنویر "حول ذکر هذه الغزوة .:وتـخـصیص یوم حنین بالذکر من بین أیام الحروب :لأن الـمسـلـمین انهزموا فی أثناء النصر ثم عاد إلیهم الـنـصـر، فتـخـصیـصـه بالذکر لما فیه من العبرة بحصول النصر عند امتثال أمر الله ورسوله -عـلیه الصلاة والسلام- وحـصـول الهـزیـمة عند إیثار الحظوظ العاجلة علی الامتثال، ففیه مثل وشاهد لحالتی الإیثارین المذکورین آنفا فی قوله تعالی :(أحـب إلیکم من الله ورسوله وجهاد فی سبیله)(التوبة 24 :) لیتنبهوا إلی أن هذا الإیثار قد یعرض فی أثـنـاء إیثـار آخر، فهم لما خرجوا إلی غزوة حنین کانوا قد آثروا محبة الجهاد علی محبة أسبابهم وعلاقاتهم، ثم هم فی أثناء الجهاد قد عاودهم إیثار الحظوظ العاجلة علی امتثال أمر الله ورسوله صلی الله علیه وسلم الذی هو من آثار إیثار محبتها، وهی عبرة دقیقة حصل فیها الضدان .((

إنها دروس للأمة إذا هی رجعت إلی کتاب ربها وسنة نبیها فاقتبست نور طریقها غیر عابئة بمن خالفها .

قال تعالی (یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ یَنصُرْکُمْ وَیُثَبِّتْ أَقْدَامَکُمْ) (محمد 7 :).

قال تعالی (وَلَیَنـصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ یَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِیٌّ عَزِیزٌ .الَّـذِیـنَ إِنْ مَکَّنَّاهُمْ فِی الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّکَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْکَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج 40 :، 41).

قال تعالی (وَعَـدَ الـلَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ کَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَیُـمَـکِّـنَـنَّ لَهُمْ دِینَهُمْ الَّذِی ارْتَضَی لَهُمْ وَلَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً یَعْبُدُونَنِی لا یُشْرِکُونَ بِی شَیْئاً وَمَنْ کَفَرَ بَعْدَ ذَلِکَ فَأُولَئِکَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور 55 :).

القسم الثانی :غزوة بنی النضیر .

أولاً :تحقیق لاسم الغزوة وموقعها :

ذکـر عـلـمـاء السیـر والمفسرون أن غزوة بنی النضیر فی ربیع الأول السنة الرابعة من الهجرة .قال ابن هشام :أمر إجلاء بنی النضیر فی سنة أربع ، وأنزل الله فی هذه الغزوة سورة الحشر بأکملها، فوصف طرد الیهود، وفضح مسلك المنافقین، وبین أحکام الفیء ، وأثنی علی المهاجرین والأنصار، وبین جواز القطع والحرق فی أرض العدو للمصالح

الحربية، وأن ذلك ليس من الفساد في الأرض، وأوصى المؤمنين بالتزام التقوى والاستعداد للآخرة، ثم ختمها بالثناء على نفسه وبيان أسمائه وصفاته. وكان ابن عباس يسمي سورة الحشرسورة النضير .

كان اليهود يتحرقون على الإسلام والمسلمين إلا أنهم لم يكونوا أصحاب حرب وضرب، بل كانوا أصحاب دس ومؤامرة، فكانوا يجاهرون بالحقد والعداوة، ويختارون أنواعاً من الحيل ؛ لإيقاع الإيذاء بالمسلمين دون أن يقوموا للقتال مع ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق، وأنهم بعد وقعة بني قينقاع وقتل كعب بن الأشرف خافوا على أنفسهم فاستكانوا والتزموا الهدوء والسكوت.

ولكنهم بعد وقعة أحد تجرأوا، فكاشفوا بالعداوة والغدر، وأخذوا يتصلون بالمنافقين وبالمشركين من أهل مكة سراً، ويعملون لصالحهم ضد المسلمين .

وصبر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ، حتى ازدادوا جرأة وجسارة بعد وقعة الرَّجِيع وبئر مَعُونة، حتى قاموا بمؤامرة تهدف القضاء على النبي صلى الله عليه وسلم. عندما خرج إليهم في نفر من أصحابه، وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضَّمُرِي - وكان ذلك يجب عليهم حسب بنود المعاهدة - فقالوا : نفعل يا أبا القاسم، اجلس ها هنا حتى نقضي حاجتك. فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاء هم بما وعدوا، وجلس معه أبو بكر وعمر وعلي وطائفة من أصحابه.

وخلا اليهود بعضهم إلى بعض، وسول لهم الشيطان فتآمروا بقتله صلى الله عليه وسلم، وقالوا : أيكم يأخذ هذه الرحى، ويصعد فيلقيها على رأسه يشدخه بها؟ فقال أشقاهم عمرو بن جحاش : أنا. فقال لهم سَلَّام بن مِشْكَم : لا تفعلوا، فوالله ليخبرن بما هممتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه. ولكنهم عزموا على تنفيذ خطتهم.

ونزل جبريل من عند رب العالمين على رسوله صلى الله عليه وسلم يعلمه بما هموا به، فنهض مسرعاً وتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه فقالوا : نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما هَمَّتْ به يهود.

وما لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بعث محمد بن مسلمة إلى بني النضير يقول لهم : (اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشراً، فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه.(ولم يجد يهود مناصاً من الخروج، فأقاموا أياماً يتجهزون للرحيل، بيد أن رئيس المنافقين- عبد الله بن أبي - بعث إليهم أن اثبتوا وتَمَنَّعُوا، ولا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم (لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ)(الحشر11:) وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان.

وهناك عادت لليهود ثقتهم، واستقر رأيهم على المناوأة، وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قاله رأس المنافقين،

فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك.

ولا شك أن الموقف كان حرجاً بالنسبة للمسلمين، فإن اشتباكهم بخصومهم فى هذه الفترة المحرجة من تاريخهم لم يكن مأمون العواقب، وقد رأوا كَلَب العرب عليهم وفتكهم الشنيع ببعوثهم، ثم إن يهود بنى النضير كانوا على درجة من القوة تجعل استسلامهم بعيد الاحتمال، وتجعل فرض القتال معهم محفوفاً بالمكاره، إلا أن الحال التى جدت بعد مأساة بئر معونة وما قبلها زادت حساسية المسلمين بجرائم الاغتيال والغدر التى أخذوا يتعرضون لها جماعات وأفراداً، وضاعفت نقمتهم على مقترفيها، ومن ثم قرروا أن يقاتلوا بنى النضير - بعد همهم باغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم - مهما تكن النتائج.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم جواب حيى بن أخطب كبر وكبر أصحابه، ثم نهض لمناجزة القوم، فاستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وسار إليهم، وعلى بن أبى طالب يحمل اللواء ، فلما انتهى إليهم فرض عليهم الحصار.

والتحأ بنو النضير إلى حصونهم، فأقاموا عليها يرمون بالنبل والحجارة، وكانت نخيلهم وبساتينهم عوناً لهم فى ذلك، فأمر بقطعها وتحريقها، وفى ذلك يقول حسان:

وهان على سَرَاةِ بنى لُؤى **حريق بالبُوَيْرَةِ مستطير

البويرة : اسم لنخل بنى النضير . وفى ذلك أنزل الله تعالى : (مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ) (الحشر: 5).

واعتزلتهم قريظة، وخانهم عبد الله بن أبى وحلفاؤهم من غطفان، فلم يحاول أحد أن يسوق لهم خيراً، أو يدفع عنهم شراً، ولهذا شبه سبحانه وتعالى قصتهم، وجعل مثلهم :(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِّنكَ) ((الحشر: 16)

ولم يطل الحصار - فقد دام ست ليال فقط، وقيل : خمس عشرة ليلة - حتى قذف الله فى قلوبهم الرعب، فاندحروا وتهيأوا للاستسلام ولإلقاء السلاح، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن نخرج عن المدينة. فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذراريهم، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح.

فنزلوا على ذلك، وخربوا بيوتهم بأيديهم، ليحملوا الأبواب والشبابيك، بل حتى حمل بعضهم الأوتاد وجذوع السقف، ثم حملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، فترحل أكثرهم وأكابرهم كحيى بن أخطب وسلاّم بن أبى الحُقَيق إلى خيبر، وذهبت طائفة منهم إلى الشام، وأسلم منهم رجلان فقط : يامِينُ بن عمرو وأبو سعد بن

وهب، فأحرزا أموالهما.

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاح بنى النضير، واستولى على أرضهم وديارهم وأموالهم، فوجد من السلاح خمسين درعاً وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفاً.

وكانت أموال بنى النضير وأرضهم وديارهم خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يضعها حيث يشاء ، ولم يخمسها لأن الله أفاءها عليه، ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، فقسمها بين المهاجرين الأولين خاصة، إلا أنه أعطى أبا دُجَانة وسهل بن حُنَيف الأنصاريين لفقرهما . وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، ثم يجعل ما بقى فى السلاح والكُرَاع عدة فى سبيل الله.

ثانياً :غزوة بنى النضير فى القرآن الكريم :

ورد ذكر غزوة بنى النضير فى موضع واحد فى القرآن فى سورة الحشر :ويُمكن بيانها حسب موضوعاتها على النحو التالى :

1- إجلاء بنى النضير وذكر ما حل بهم قال تعالى (هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ (2) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (3) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (4)

2- ما وقع من قطع النخيل كان بإذن الله ، قال تعالى (مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (5)

أخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع ، وهى البويرة فنزلت(ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) ((

قال البغوى :(وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير، وتحصنوا بحصونهم، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا :يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجرة وقطع النخيل ؟ فها وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الأرض ؟ فوجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم ، وخشوا أن يكون ذلك فساداً ،واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم :لا تقطعوا فإنا مما أفاء الله علينا ، وقال بعضهم :بل نغيظهم بقطعها فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم .((

قال السعدى :(ولما لام بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فى قطع النخيل ، وزعموا أن ذلك من الفساد وتوصلوا بذلك إلى الطعن بالمسلمين ، أخبر تعالى أن قطع النخيل إن قطعوه أو إبقاء هم إياه إن أبقوه (فبإذن الله) وأمره (وليخزى الفاسقين)حيث سلطكم على قطع نخلهم وتحريقها ليكون ذلك نكالاً لهم وخزياً فى الدنيا، وذلاً يعرف به عجزهم التام الذى ما قدروا على استنقاذ نخلهم الذى هو مادة قوتهم) ((

-3 أموال الفيء ومصارفها قال تعالى (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7)

خُتمت الآيتان بحقيقة اقتصادية وهى قاعدة لحفظ توازن توزيع المال ، قال تعالى (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ) أى حتى لا يكون الفيء يتداوله الأغنياء منكم خاصة ، وتتكثر به؛ مع حاجة الفقراء إليه، واضطرارهم له .وفى ذلك من الفساد، ما لا يعلمه إلا الله، كما أن فى اتباع أمر الله وشرعه من المصالح ما لا يدخل تحت الحصر، ولذلك أمر الله بالقاعدة الكلية والأصل العام، فقال :(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه .((

-4 بيان للمستحقين الآخرين من أموال الفيء وفضل المهاجرين والأنصار ، قال تعالى(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ

تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (10)

-5 وعد المنافقين الكذب لبنى النضير قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (12) لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (13) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (14) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن

قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ 15)) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ 16)) (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ 17)

ثالثاً :سورة الحشر

بين يدى السورة

1- اسم السورة :

اشتهرت تسمية هذه السورة سورة الحشر عند المفسرين .وقد ذكر السيوطى فى النوع السابع عشر فى كتابه الاتقان أنها سميت بذلك ، ولها اسم آخر غير مشهور، كما جاء عن ابن عباس -رضى الله تعالى عنهما -حيث سماها بسورة بنى النضير، ؛ ففى صحيح البخارى عن سعيد بن جبير رضى الله عنه ، قال :قلت لابن عباس رضى الله عنهما :سورة الحشر، قال " :قل :سورة النضير "( ) أى سورة بنى النضير ، فابن جبير سماها باسمها المشهور .وابن عباس يسميها سورة بنى النضير .قال ابن عاشور :(ولعله لم يبلغه تسمية النبى صلى الله عليه وسلم إياها سورة الحشر لأن ظاهر كلامه أنه يرى تسميتها سورة بنى النضير لقوله لابن جبير قل بنى النضير .وتأول ابن حجر كلام ابن عباس على أنه كره تسميتها ب الحشر لئلا يظن أن المراد بالحشر يوم القيامة .وأحسن من هذا أن ابن عباس أراد أن لها اسمين، وأن الأمر فى قوله :قل، للتخيير(.

فأما وجه تسميتها الحشر فلوقوع لفظ الحشر فيها .ولكونها ذكر فيها حشر بنى النضير من ديارهم أى من قريتهم المسماة الزهرة قريبا من المدينة .فخرجوا إلى بلاد الشام إلى أريحا وأذرعات، وبعض بيوتهم خرجوا إلى خيبر، وبعض بيوتهم خرجوا إلى الحيوة.

وأما وجه تسميتها سورة بنى النضير فلأن قصة بنى النضير ذكرت فيها.

وهى مدنية بالاتفاق .وهى الثامنة والتسعون فى عداد نزول السور عند جابر بن زيد.

نزلت بعد سورة البينة وقبل سورة النصر .وآيها عشرون، وأربع آيات، فى جميع العدد .ولا اختلاف فيها .

وكان نزولها عقب إخراج بنى النضير من بلادهم سنة أربع من الهجرة .((

2- : مقصود السورة :

بيان ما دل عليه آخر سورة المجادلة من تنزه الله عن النقص، بإثبات القدرة الشاملة، لأنه سبحانه وتعالى قوى عزيز. المستلزمة للعلم التام، المستلزم للحكمة البالغة المستلزمة للحشر، المظهر لفلاح المفلح، وخسارة الخاسر، على وجه الثبات، الكاشف أتم كشف لجميع صفات الكمال .وأدل ما فيها على ذلك :تأمل قصة بنى النضير، المعلم

بأول الحشر .المؤذن بالحشر الحقیقی، بالقدرة علی الحشر الأول، بعد إطباق الولی والعدو علی ظن أنه لا یکون . فلذا سمیت بالحشر، وبنی النضیر، لأنه سبحانه حشرهم بقدرته من المدینة الشریفة إلی خیبر .ثم حشرهم - وغیرهم من الیهود -الحشر الثانی من خیبر إلی الشام الذی هو آیة الحشر الأعظم إلی أرض المحشر، لقهر هذا النبی الکریم أهل الکتاب، المدعین لأنهم أفضل الناس، وأنهم مؤیدین بما لهم من الدین القویم، علی ما یوجب إلیه الحدید، کما قهر أهل الأوثان الذین هم عالمون بأنهم بدلوا الدین الصحیح.

-3 : موضوعات السورة :

وقع الاتفاق علی أنها نزلت فی شأن بنی النضیر، قال البغوی :قال المفسرون :نزلت هذه السورة فی بنی النضیر، ( ) ولم یعینوا ما هو الغرض الذی نزلت فیه .ویظهر أن المقصد منها حکم أموال بنی النضیر بعد الانتصار علیهم . وموضوعاتها هی :

-1 تنزیه الله تعالی ، وأن ما فی السماوات والأرض ملکه، وأنه تعالی الغالب المدبر .الآیة 1))

-2 ذکر نعمة الله علی ما یسر من إجلاء بنی النضیر ، مع ما کانوا علیه من المنعة والحصون والعدة .وتلك آیة من آیات تأیید رسول الله صلی الله علیه وسلم وغلبته علی أعدائه .الآیات (4 -2)

-3 ذکر ما أجراه المسلمون من إتلاف أموال بنی النضیر وأحکام ذلك فی أموالهم وتعیین مستحقیه من المسلمین .الآیات ((7 -5

-4 تعظیم شأن المهاجرین والأنصار والذین یجیئون بعدهم من المؤمنین .الآیات (10-8)

-5 کشف دخائل المنافقین ومواعیدهم لبنی النضیر أن ینصروهم وکیف کذبوا وعدهم .الآیتان (12 -11)

-6 وصف بنی النضیر والمنافقین بالجبن وتفرق الکلمة وتنظیر حال تغریر المنافقین للیهود بتغریر الشیطان للذین یکفرون بالله، وتنصله من ذلك یوم القیامة فکان عاقبة الجمیع الخلود فی النار .الآیات (17 -13)

-7 خطاب المؤمنین بالأمر بالتقوی والحذر من أحوال أصحاب النار والتذکیر بتفاوت حال الفریقین. الآیات ((-20 -18

-8 بیان عظمة القرآن وجلالته واقتضائه خشوع أهله .وتخلل ذلك إیماء إلی حکمة شرائع انتقال الأموال بین المسلمین بالوجوه التی نظمها الإسلام بحیث لا تشق علی أصحاب الأموال .والأمر باتباع ما یشرعه الله علی لسان رسول الله صلی الله علیه وسلم .الآیات ((23 -21

-9 ختمت بصفات عظیمة من الصفات الإلهیة وأنه سبحانه (یسبح له ما فی السماوات والأرض) (الحشر:

24) تزكيه لحال المؤمنين وتعريضا بالكافرين .

رابعاً : :الفوائد والآثار الإيمانية من سورة الحشر :

1- تربية الأفراد والأمة على أن النصر من الله عز جل - وربط الأحداث بفاعلها الحقيقي وهو الله رب العالمين، وبيان أن جنود الله كثيرة لا يعلمها أحد إلا الله، قال الله تعالى(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) (المدثر :من الآية31)، وقال تعالى :(هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)(الحشر 2:) فالمتأمل في هذه الغزوة، يتبيّن له أن الله - عز وجل - هو الذي أخرج يهود بني النضير من ديارهم، في حين أن كل الأسباب المادية كانت معهم حتى اعتقدوا أنه لا أحد يستطيع أن يخرجهم من حصونهم لمتانتها وقوتها، لكن الله فاجأهم من حيث لم يحتسبوا، وجاء هم من قلوبهم التي لم يتوقعوا أنهم يهزمون بها، فقذف فيها الرعب، فإذا بهم يهدمون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين.

فعلى المسلمون أن يعلموا أن الله الذي أجلى هؤلاء وأزالهم بعد أن ظن الناس أن حصونهم مانعتهم قادر على أن يزيل غيرهم من الكافرين والمتكبرين والظالمين ، بشرط أن يصلح الناس أحوالهم ويقبلوا على منهج ربهم وينصروا دينه فإذا حققوا ذلك فإن الله سينصرهم وسيهلك عدوهم؟ .وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ.؟

2- الإيثار خُلق الأنصار :قال تعالى ((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر 9:) يصف الله تعالى الأنصار الذين تبوّءُوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين بأنهم يعطون المهاجرين أموالهم إيثارًا لهم بها على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم . وهذه صورة وضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار .هذه المجموعة التي تفردت بصفات، وبلغت إلى آفاق، لولا أنها وقعت بالفعل، لحسبها الناس أحلاما طائرة ، ومثلا علياً ، لم يتصف بها أحد .ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثا جماعيا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين .بهذا الحب الكريم .وبهذا البذل السخي .وبهذه المشاركة الرضية .وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء .ويروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة .لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين ( ) عن أبي هريرة " :أن رجلا من الأنصار بات به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه ، فقال لامرأته :نومي الصبية، وأطفئي السراج، وقربي للضيف ما عندك "، فنزلت هذه الآية :(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (الحشر9 :) ((

3- عقد الأخوة بين المؤمنين يقتضى دعاء بعضهم لبعض (وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضى لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضا .ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره ، و والغل :العداوة ،كما في تعالى :(ونزعنا ما في صدورهم من غل)(الأعراف/43) والغل إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين .((

4- المنافق يصرف ولاءه لأعداء الله من اليهود والمشركين قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11)

5- أوصاف اليهود في السورة :

الوصف الأول :أنهم شاقوا الله ورسوله(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) . ومعنى مشاقتهم لله ورسوله أنهم عصوا ربهم واستباحوا حرماته وعطلوا أحكامه وشرائعه وأضاعوا حدوده وحقوقه، واليهود سادة هذه الخصال وأسباب انتشارها في العالمين.

الوصف الثاني :أنهم فاسقون (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ)

6- الوصف الثالث :أنهم يخشون الناس أكثر مما يخشون الله (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)

الوصف الرابع :أن مظهرهم يدل على الوحدة والجماعة، ولكن سرائرهم متفرقة ممزقة، يكره بعضهم بعضًا، وليست لأنهم لا عقيدة جامعة ولا وحدة فكرية أو عاطفية تربط بينهم(لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ) في هذه الآية فضح الله تعالى اليهود في هذه السورة كما فضح المنافقين فقال تعالى (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (14) لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا محتمعين متساندين، يعني اليهود والمنافقين إلا كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب أو من وراء جدر دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم، لقذف الله الرعب في قلوبهم، وأن تأييد الله تعالى ونصره معكم .بأسهم بينهم

شديد يعنى أن البأس الشديد الذى يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا، ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة، لأن الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين ذوى ألفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا ألفة بينها، يعنى .أن بينهم إحنا وعداوات، فلا يتعاضدون حق التعاضد، ولا يرمون عن قوس واحدة .وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم .

خامساً : تدبر بعض الخصائص فى سورة الحشر:

اختصاص سورة الحشر بأمور معينة لم ترد فى أى سورة من القرآن ، ومن ذلك :

أولاً :خصائص فى الألفاظ :

1- أول الحشر :قال الراغب :الحشر :إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها، ويقال ذلك فى الإنسان وفى غيره، يقال :حشرت السنة مال بنى فلان، أى :أزالته عنهم، ولا يقال الحشر إلا فى الجماعة، قال الله تعالى(وابعث فى المدائن حاشرين) (الشعراء / 36) ، وقال تعالى :(والطير محشورة)(ص/ 19) ، وقال عز وجل :(وإذا الوحوش حشرت)(التكوير/5) ، وقال :(لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا)(الحشر/ 2) ،(وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون)(النمل/ 17) ، وقال فى صفة القيامة :(وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء)(الأحقاف/ 6)،(سيحشرهم إليه جميعا)(النساء / 172)،(وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا)(الكهف/47) ، وسمى يوم القيامة يوم الحشر كما سمى يوم البعث .((

دلالة اللفظ :

والمراد به هنا :حشر يهود جزيرة العرب إلى أرض غيرها، أى جمعهم للخروج، وهو بهذا المعنى يرادف الجلاء إذا كان الجلاء لجماعة عظيمة تجمع من متفرق ديار البلاد .

وليس المراد به :حشر يوم القيامة إذ لا مناسبة له هنا ولا يلائم ذكر لفظ أول لأن أول كل شيء إنما يكون متحد النوع مع ما أضيف هو إليه .

2- الحصون :الحصن جمعه حصون، قال الله تعالى :(مانعتهم حصونهم من الله)(الحشر/ 2) ، وقوله عز وجل :(لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة)(الحشر/ 14) ، أى :مجعولة بالإحكام كالحصون، وتحصن: إذا اتخذ الحصن مسكنا، ثم يتجوز به فى كل تحرز، ومنه :درع حصينة، لكونها حصنا للبدن وفرس حصان :لكونه حصنا لراكبه .

دلالة اللفظ :

وكان اليهود يتخذون حصونا يأوون إليها عند ما يغزوهم العدو مثل حصون خيبر.

وكانت لبني النضير ستة حصون أسماؤها :الْكُتَيْبَةُ (بضم الكاف وفتح المثناة الفوقية) وَالْوَطِيحُ (بفتح الواو وكسر الطاء) وَالسُّلَالِمُ (بضم السين) وَالنَّطَاةُ (بفتح النون وفتح الطاء بعدها ألف وبهاء تأنيث آخره) وَالْوَخْدَةُ (بفتح الواو وسكون الخاء المعجمة ودال مهملة) وَشَقٌّ (بفتح الشين المعجمة وتشديد القاف) .

-3 تخريب البيوت في قوله تعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم)يقال :خرب المكان خراباً، وهو ضد العمارة، قال الله تعالى :(وسعى في خرابها)(البقرة/ 114) ، وقد أخربه، وخربه، قال الله تعالى :(يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين)(الحشر/ 2) ، فتخريبهم بأيديهم إنما كان لئلا تبقى للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقيل : كان بإجلائهم عنها .

دلالة اللفظ :

ومعنى التخريب فهو حقيقى بالنسبة لكلا المتعلقين فإن المعنى الحقيقى فيهما هو العبرة التى نبه عليها قوله تعالى : (فاعتبروا يا أولى الأبصار) ، أى اعتبروا بأن كان تخريب بيوتهم بفعلهم وكانت آلات التخريب من آلاتهم وآلات عدوهم .والاعتبار :النظر فى دلالة الأشياء على لوازمها وعواقبها وأسبابها .وهو افتعال من العبرة، وهى الموعظة .

-4 الجلاء فى قوله تعالى (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء)أصل الجلو :الكشف الظاهر، يقال :أجليت القوم عن منازلهم فجلوا عنها .أى :أبرزتهم عنها، وقال الله عز وجل :(ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا)(الحشر/ 3) .قال الماوردى :والفرق بين الجلاء والإخراج -وإن كان معناهما فى الإبعاد واحد -من وجهين :أحدهما :أن الجلاء ما كان مع الأهل والولد ,والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد .الثانى :أن الجلاء لا يكون إلا لجماعة ,والإخراج يكون لجماعة ولواحد .

دلالة اللفظ :

والمراد بالتعذيب :الألم المحسوس بالأبدان بالقتل والجرح والأسر والإهانة وإلا فإن الإخراج من الديار نكبة ومصيبة لكنها لا تدرك بالحس وإنما تدرك بالوجدان.

ولولا حرف امتناع لوجود، تفيد امتناع جوابها لأجل وجود شرطها، أى وجود تقدير الله جلاء هم سبب لانتفاء تعذيب الله إياهم فى الدنيا بعذاب آخر.

وإنما قدر الله لهم الجلاء دون التعذيب فى الدنيا لمصلحة اقتضتها حكمته، وهى أن يأخذ المسلمون أرضهم وديارهم وحوائطهم دون إتلاف من نفوس المسلمين مما لا يخلو منه القتال لأن الله أراد استبقاء قوة المسلمين لما

يستقبل من الفتوح، فليس تقدير الجلاء لهم لقصد اللطف بهم وكرامتهم وإن كانوا قد آثروه على الحرب. ومعنى كتب الله عليهم قدر لهم تقديرا كالكتابة فى تحقق مضمونه وكان مظهر هذا التقدير الإلهى ما تلاحق بهم من النكبات من جلاء النضير ثم فتح قريظة ثم فتح خيبر.

والجلاء :الخروج من الوطن بنية عدم العود .

5- اللينة فى قوله تعالى (مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ) قال الزجاج :والنخل كله ما عدا البرنى والعجوة يسميه أهل المدينة الألْوَان، وأصل لِينَةٍ لِوْنَة فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها فقيل لينة .

اللين :ضد الخشونة، ويستعمل ذلك فى الأجسام، ثم يستعار للخلق وغيره من المعانى، فيقال :فلان لين، وفلان خشن، وكل واحد منهما يمدح به طورا، ويذم به طورا بحسب اختلاف المواقع .قال تعالى :(فبما رحمة من الله لنت لهم) (آل عمران/159) ، وقوله :(ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله)(الزمر/ 23) فإشارة إلى إذعانهم للحق وقبولهم له بعد تأبيهم منه، وإنكارهم إياه، وقوله :(ما قطعتم من لينة)(الحشر/ 5) أى :من نخلة ناعمة، ومخرجه مخرج فعلة نحو :حنطة، ولا يختص بنوع منه دون نوع .

دلالة اللفظ :

اللينة هنا، قيل :اسم عام للنخل، وهذا اختيار ابن جرير .وقيل :نوع خاص منه، وهو ما عدا البرنى والعجوة فقط. ونقل ابن جرير عن بعض أهل البصرة يقول :اللينة من اللون، وقال :وإنما سميت لينة؛ لأنها فعلة من فعل وهو اللون، وهو ضرب من النخل، ولكن لما انكسر ما قبلها انقلبت إلى ياء إلخ، وهذا الأخير قريب مما عليه أهل المدينة اليوم، حيث يطلقون كلمة :لونة على ما لا يعرفون له اسما خاصا، ولعل كلمة لونة محرفة عن كلمة لينة، ويوجد عند أهل المدينة من أنواع النخيل ما يقرب من سبعين نوعا .وقيل :إن اللينة كل شجرة لليونتها بالحياة .

6- الوجيف :فى قوله تعالى (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ) الوجيف :سرعة السير، وأوجفت البعير :أسرعته .قال تعالى :(فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) (الحشر/6) والوَجِيفُ دون التقريب من السير، يقال :وجف الفرس وأوجَفته .والمعنى أنه لا شيء لكم فيه إنما هو لرسول اللّه -صلى الله عليه وسلم -خالصاً يعمل فيه ما أحب، وكذلك كل ما فتح على الأئمة مما لم يوجف المسلمون عليه خيلًا ولاركاب .

دلالة اللفظ :

والإيجاف :نوع من سير الخيل .وهو سير سريع بإيقاع وأريد به الركض للإغارة لأنه يكون سريعاً .فلا حق فيه لأحد .والمراد :أن الله سلط عليه رسوله صلى الله عليه وسلم .فالرسول أحق به .

-7 الرکاب فی قوله تعالی (وَلَا رِكَابٍ) والرکاب الإبلُ .

دلالة اللفظ :

والرکاب :اسم جمع للإبل التی ترکب .والمعنی :ما أغرتم علیه بخیل ولا إبل .

-8 الدولة فی قوله تعالی (کی لا یکون دولة)الدولة والدولة واحدة، وقیل :الدولة فی المال، والدولة فی الحرب والحاه .وقیل :الدولة اسم الشیء الذی یتداول بعینه، والدولة المصدر .قال تعالی :(کی لا یکون دولة بین الأغنیاء منکم)(الحشر/ 7) ، وتداول القوم کذا، أی :تناولوه من حیث الدولة، وداول الله کذا بینهم .قال تعالی : (وتلك الأیام نداولها بین الناس) (آل عمران/140)

دلالة اللفظ :

و الدُّوْلَةُ بفتح الدال :النوبة فی الغلبة والملك .ولذلك أجمع القراء المشهورون علی قراء تها فی هذه الآیة بضم الدال .

-9 تبوأ الدار فی قوله تعالی (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ) والتبوء :اتخاذ المباء ة وهی البقعة التی یبوء إلیها صاحبها، أی یرجع إلیها بعد انتشاره فی أعماله .

-10 الحاجة فی قوله تعالی (حاجة مما أوتوا) الحاجة إلی الشیء :الفقر إلیه مع محبته، وجمعها :حاج وحاجات وحوائج، وحاج یحوج :احتاج، قال تعالی :(إلا حاجة فی نفس یعقوب قضاها) (یوسف/68) ، وقال :(حاجة مما أوتوا)(الحشر/9)

دلالة اللفظ :

ومعنی نفی وجدان الاحتیاج فی صدورهم أنهم لفرط حبهم للمهاجرین صاروا لا یخامر نفوسهم نفوسهم تشوف إلی

أخذ شیء مما أوتیه المهاجرون من فیء بنی النضیر .

-11 الخصاصة :فی قوله تعالی (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)(الحشر/9) وعبر عن الفقر الذی لم یسد بالخصاصة، کما عبر عنه بالخلة، وإن شئت قلت من الخصاص، والخص :بیت من قصب أو شجر، وذلك لما یری فیه من الخصاصة .

دلالة اللفظ :

وجملة (ولو کان بهم خصاصة)فی موضع الحال .و(لو) وصلیة وهی التی تدل علی مجرد تعلیق جوابها بشرط

یفید حالة لا یظن حصول الحواب عند حصولها .والتقدیر :لو کان بهم خصاصة لآثروا علی أنفسهم فیعلم أن إیثارهم فی الأحوال التی دون ذلك بالأحری دون إفادة الامتناع .والخصاصة :شدة الاحتیاج .

12- وراء جُدر فی قوله تعالی (أو من وراء جدر)الجدار :الحائط، إلا أن الحائط یقال اعتباراً بالإحاطة بالمکان، والجدار یقال اعتباراً بالنتوء والارتفاع، وجمعه جدر .قال تعالی :(وأما الجدار فکان لغلامین)(الکهف/ 82) ، وقال :(جدارا یرید أن ینقض فأقامه)(الکهف/77) ، وقال تعالی :(أو من وراء جدر)(الحشر/14)

دلالة اللفظ :

والمعنی :لا یهاجمونکم، وإن هاجمتموهم لا یبرزون إلیکم ولکنهم یدافعونکم فی قری محصنة أو یقاتلونکم من وراء جدر، أی فی الحصون والمعاقل ومن وراء الأسوار، وهذا کنایة عن مصیرهم إلی الهزیمة إذ ما حورب قوم فی عقر دارهم إلا ذلوا کما قال علی رضی الله عنه :وهذا إطلاع لهم علی تطمین للرسول صلی الله علیه وسلم والمؤمنین ودخائل الأعداء .

الْجُدُرُ بضمتین فی قراءة الجمهور جمع جدار .وقرأه ابن کثیر وأبو عمرو جِدَارٌ علی الإفراد، والمراد الجنس تساوی الجمع .

ثانیاً :خصائص فی الأسماء الحسنی :

انفردت سورة الحشر بذکر بعض الأسماء الحسنی لله تعالی ، وهذا وارد فی آخر السورة ، فی ثلاثة مقاطع .یبدأ کل مقطع منها بصفة التوحید قال تعالی (هُوَ اللَّهُ الَّذِی لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَیْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِیمُ 22)) هُوَ اللَّهُ الَّذِی لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَیْمِنُ الْعَزِیزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا یُشْرِكُونَ 23)) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَی یُسَبِّحُ لَهُ مَا فِی السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِیزُ الْحَكِیمُ) (الحشر23 :، 24) هذا أقصر نص قرآنی یحوی عدد کبیر من أسماء الله الحسنی ، فالنص یحوی ستة عشر اسماً .هذه الآیات الکریمات قد اشتملت علی کثیر من أسماء الله الحسنی وأوصافه العلی، عظیمة الشأن، وبدیعة البرهان، فأخبر

أنه الله المألوه المعبود، الذی لا إله إلا هو، وذلك لکماله العظیم، وإحسانه الشامل، وتدبیره العام، وکل إله سواه فإنه باطل لا یستحق من العبادة مثقال ذرة، لأنه فقیر عاجز ناقص، لا یملك لنفسه ولا لغیره شیئا، ثم وصف نفسه بعموم العلم الشامل، لما غاب عن الخلق وما یشاهدونه، وبعموم رحمته التی وسعت کل شیء ووصلت إلی کل حی .ثم کرر عموم إلهیته وانفراده بها، وأنه المالك لجمیع الممالك، فالعالم العلوی والسفلی وأهله، الجمیع

ممالیك لله، فقراء مدبرون .(الْقُدُّوسُ السَّلامُ) أى :المقدس السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجد، لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله فى أوصافه وجلاله .(الْمُؤْمِنُ) أى :المصدق لرسله وأنبيائه بما جاء وا به، بالآيات البينات، والبراهين القاطعات، والحجج الواضحات .(الْعَزِيزُ) الذى لا يغالب ولا يمانع، بل قد قهر كل شيء ، وخضع له كل شيء ، (الْجَبَّارُ) الذى قهر جميع العباد، وأذعن له سائر الخلق، الذى يجبر الكسير، ويغنى الفقير، (الْمُتَكَبِّرِ) الذى له الكبرياء والعظمة، المتنزه عن جميع العيوب والظلم والجور. (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وهذا تنزيه عام عن كل ما وصفه به من أشرك به وعانده .(هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ) لجميع المخلوقات (الْبَارِئُ) للمبروء ات (الْمُصَوِّرُ) للمصورات، وهذه الأسماء متعلقة بالخلق والتدبير والتقدير، وأن ذلك كله قد انفرد الله به، لم يشاركه فيه مشارك .(لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) أى :له الأسماء الكثيرة جدا، التى لا يحصيها ولا يعلمها أحد إلا الله هو، ومع ذلك، فكلها حسنى أى :صفات كمال، بل تدل على أكمل الصفات وأعظمها، لا نقص فى شيء منها بوجه من الوجوه، ومن حسنها أن الله يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من عباده أن يدعوه ويسألوه بها .ومن كماله، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، أن جميع من فى السماوات والأرض مفتقرون إليه على الدوام، يسبحون بحمده، ويسألونه حوائجهم، فيعطيهم من فضله وكرمه ما تقتضيه رحمته وحكمته، (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الذى لا يريد شيئا إلا ويكون، ولا يكون شيئا إلا لحكمة ومصلحة .((

ثالثاً :خصائص فى مناسبة خاتمة السورة مع بدايتها :

1- بدأت سورة الحشر -كما ختمت أيضًا -بتسبيح الله وتحميده قال تعالى (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، وخُتمت بتسبيح الله وتحميده قال تعالى(هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

2- انفردت بقوله تعالى (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فى بداية السورة ونهايتها ، وهذه مناسبة عظيمة لمن تأملها . والسورة تبدأ وتختتم بتسبيح الله الذى له ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ، فيتناسق البدء والختام، مع موضوع السورة، ومع دعوة المؤمنين للتقوى والخشوع والتفكر فى تدبير الله الحكيم.

الخاتمة :

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، الذى بعثه الله هادياً ونذيراً.

إن الكتابة والبحث فى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم مما يُربى المسلم على إدراك عظمة الدين ، وأن الله أراد له الانتشار فى الأرض ، وأن يدخل الناس فى دين الله أفواجاً .

وفی بداية الدعوة لم يُشرع الجهاد فی سبيل الله لحكمة أرادها الله تعالى ، ويُمكن أن نلخّص أسبابها فيما يلى:

أ -إن المسلمين كانوا فی مكة قلة، وهم محصورون فيها ، ولو وقع بينهم وبين المشركين حرب أو قتال لقضوا عليهم ، فشاء الله أن يكثروا وأن يكون لهم أنصار وأعوان، وأن يرتكزوا قاعدة آمنة تحميها الدولة، فلمّا هاجروا إلى المدينة المنورة أذن لهم بالقتال بعد أن قويت شوكتهم وكثر عددهم.

ب -كانت الغاية تدريب نفوس المؤمنين على الصبر امتثالًا للأمر، وخضوعًا للقيادة، وانتظارًا للإذن، وقد كان العرب فی الجاهلية شديدى الحماسة، لا يصبرون على الضيم، وقد تعودوا الاندفاع والحماسة، ، فكان لابد من تمرينهم على تحمل الأذى، والصبر على المكاره والخضوع لأمر القيادة العليا، حتى يقع التوازن بين الاندفاع والتروى، والحميّة والطاعة، فی جماعةٍ هيأتهم إرادة الله لأمر عظيم.

ج -البيئة العربية كانت بيئة نخوة ، وكان صبر المسلمين على الأذى -وفيهم الأبطال والشجعان الذين يستطيعون أن يردوا الصاع صاعين - مما يثير النخوة، ويحرك القلوب نحو الإسلام، حصل هذا بالفعل فی المحاصرة فی الشعب عندما أجمعت قريش على مقاطعة بنی هاشم، كی يتخلوا عن حماية الرسول صلى الله عليه وسلم واشتد الاضطهاد على بنی هاشم، ثارت نفوس لم تؤمن بالإسلام، أخذتها النخوة والنجدة حتى مزّقوا الصحيفة التی تعاهد فيها المشركون على المقاطعة، وانتهى ذلك الحصار المشئوم.

د -كان بعض المسلمين فی مكة يعيشون مع آبائهم وأهليهم ، وكان أهلوهم المشركون يعذبونهم ليفتنوهم عن دينهم ، فلو أذن لهم أن يدفعوا عن أنفسهم يومذاك، لكان معنى هذا أن تقوم معركة فی كل بيت، وليس ذلك من مصلحة الدعوة فلما أحدثت الهجرة وانعزلت الجماعة أبيح لهم القتال.

الهوامش

1- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكنى الشنقيطى الناشر :دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان 1415هـ

2- الإتقان فى علوم القرآن المؤلف :عبد الرحمن بن أبى بكر، جلال الدين السيوطى المحقق :محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر :الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة1394 :هـ/ 1974 م

3- أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف بن الخطيب الناشر :المطبعة المصرية ومكتبته الطبعة :السادسة، رمضان 1383هـ - فبراير 1964م

4- إعراب القرآن المنسوب للزجاج على بن الحسين بن على، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأصفهانى الباقولى (المتوفى :نحو 543هـ) تحقيق ودراسة :إبراهيم الإبيارى

5- التحرير والتنوير المؤلف :محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسى الناشر :الدار التونسية للنشر تونس سنة النشر 1984 :هـ

6- تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدى المحقق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر :مؤسسة الرسالة الطبعة :الأولى 1420هـ

7- تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى البصرى ثم الدمشقى المحقق :سامى بن محمد سلامة الناشر :دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة :الثانية 1420هـ 1999 -م

8- تفسير الماوردى =النكت والعيون ، على بن محمد بن محمد بن حبيب البغدادى، بالماوردى المحقق :السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر :دار الكتب العلمية -بيروت / لبنان

9- جامع البيان فى تأويل القرآن المؤلف :محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملى، أبو جعفر الطبرى (المتوفى : 310هـ) المحقق :أحمد محمد شاكر الناشر :مؤسسة الرسالة

الطبعة :الأولى، 1420هـ 2000 -م

10- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه =صحيح البخارى المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخارى الجعفى المحقق :محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر :دار طوق النجاة (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى

11- الرحيق المختوم ، صفى الرحمن المباركفورى الناشر :دار الهلال -بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة :الأولى

12- زاد المعاد فی هدی خیر العباد ، محمد بن أبی بکر بن أیوب بن سعد ابن قیم الجوزیة الناشر :مؤسسة الرسالة، بیروت - مکتبة المنار الإسلامیة، الکویت الطبعة :السابعة والعشرون 141 ,هـ

13- السیرة النبویة لابن هشام المؤلف :عبد الملك بن هشام بن أیوب الحمیری المعافری، أبو محمد، جمال الدین (المتوفی : 213هـ) تحقیق :مصطفی السقا وإبراهیم الأبیاری وعبد الحفیظ الشلبی

الناشر :شرکة مکتبة ومطبعة مصطفی البابی الحلبی وأولاده بمصر الطبعة :الثانیة، 1375هـ 1955 -م

14- السیرة النبویة المؤلف :راغب الحنفی راغب السرجانی مصدر الکتاب :دروس صوتیة قام بتفریغها موقع الشبکة الإسلامیة

15- سنن الترمذی ، محمد بن عیسی بن سَوْرة بن موسی بن الضحاك، الترمذی، أبو عیسی تحقیق

وتعلیق :أحمد محمد شاکر ومحمد فؤاد عبد الباقی وإبراهیم عطوة عوض المدرس فی الأزهر الشریف الناشر :شرکة مکتبة ومطبعة مصطفی البابی الحلبی مصر الطبعة :الثانیة، 1395هـ

16- الشرح الممتع علی زاد المستقنع محمد بن صالح بن محمد العثیمین ، دار ابن الجوزی الطبعة :الأولی، 1422

17- فی ظلال القرآن المؤلف :سید قطب إبراهیم حسین الشاربی الناشر :دار الشروق -بیروت -القاهرة الطبعة :السابعة عشر 1412 -هـ

18- الکشاف عن حقائق غوامض التنزیل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشری جار الله الناشر :دار الکتاب العربی بیروت الطبعة :الثالثة 1407 -هـ

19- المفردات فی غریب القرآن أبو القاسم الحسین بن محمد بالراغب الأصفهانی المحقق :صفوان عدنان الداودی الناشر: دار القلم، الدار الشامیة -دمشق بیروت ، الطبعة :الأولی 1412 -هـ

20- معالم التنزیل فی تفسیر القرآن ، أبو محمد الحسین بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوی المحقق :عبد الرزاق المهدی الناشر :دار إحیاء التراث العربی بیروت الطبعة :الأولی ، 1420هـ

21- المغنی لابن قدامة أبو محمد موفق الدین عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلی، بابن قدامة المقدسی (المتوفی : 620هـ) الناشر :مکتبة القاهرة الطبعة :بدون طبعة تاریخ النشر1388 :هـ

22- مختصر سیرة الرسول صلی الله علیه وسلم .محمد بن عبد الوهاب بن سلیمان النجدی الناشر :وزارة الشئون الإسلامیة والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملکة العربیة السعودیة الطبعة :الأولی، 1418هـ .

23- مصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَی مَقَاصِدِ السُّوَرِ ، إبراهیم بن عمر بن حسن الرباط بن علی بن أبی بکر البقاعی دار النشر :مکتبة المعارف الریاض الطبعة :الأولی 1408هـ 1987 -م